شخصية النبي محمد (ﷺ) العلمية

الدكتور محمد مصلح الزعبي
جامعة آل البيت ـ الأردن

المقدمة

بادئ ذي بدء أشكر جامعة أصفهان على دعوتها لنا لحضور هذا المؤتمر العالمي المتعلق بجوانب شخصية النبي (ﷺ)، كما أشكر اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وقد تناولت في بحثي هذا أحد هذه الجوانب وهو: شخصية النبي (ﷺ) التعليمية، وذلك لما لهذا الجانب من أثر بالغ في نهضة الأمة العلمية والثقافية؛ فشخصية النبي (ﷺ) التعليمية شخصية فريدة من نوعها، حيرت العلماء والباحثين على مدى العصور والأزمان؛ إذ كيف لرجل أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن ينتج جيلاً مثقفاً ثقافة عالية ـ في أقل من ربع قرن ـ تعجز أكبر الجامعات والمؤسسات الثقافية والتعليمية عن إنتاج مثله، بل إن هذه المؤسسات لم تجد بدّاً من أن تتبنى كثيراً من الأساليب النبوية في التعليم.

لكن هذه الحيرة تتلاشى ويزول العجب إذا عرفنا أن الله ـ جل وعلا ـ قد اختار النبي (ﷺ) ليكون معلماً للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلّا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناسِ لا يعلمون﴾ (سبأ: ٢٨)، وهو الذي هداه واجتباه، وعلّمه الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكُم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: ١٥١)، وقد أنعم الله على أمة الإسلام ببعثة النبي (ﷺ)، وأكرم بها من نعمة أخرجت الناس من الظلمات الى النور،

ومن عبادة العباد الى عبادة رب العباد! قال تعالى: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران: ١٦٤).

ولعل المهمة التعليمية هي أهم المهام التي كلف بها النبي (ﷺ)؛ إذ يقول الحق جل وعلا: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيماً﴾ (النساء: من الآية: ١١٣)، ويقول (ﷺ): «إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولا مُتعنتاً ولكن بعثني معلماً مُيسراً» (صحيح مسلم ٢ / ١١٠٤، كتاب الطلاق، ح رقم ١٤٧٨)، وقد فهم رسول الله (ﷺ) المهمة الجليلة التي أنيطت به، وعظم المسؤولية التي كلف بها، مع علمه بقصر المدة التي يجب عليه أن ينجز المهمة خلالها؛ فاستنفر الهمم، وسلك مسلك التعليم الجماعي، وحببهم بمجالس العلم فقال: «من يُرد الله به خيراً يُفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ح رقم ٩١)، وأمر المتعلمين أن يبلغوا ما علموا لغيرهم بأمانة، فقال (ﷺ): «بلغُوا عني ولو آية» (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ح رقم ٣٤٦٢)، وقال أيضاً: «نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمع، فربّ مبلغ أوعى من سامع». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» (جامع الترمذي ٥ / ٣٤، كتاب العلم، ح ٢٦٥٧)، كما حذّرهم من التقصير في هذا الجانب، فقال (ﷺ): «من سُئل عن عِلمٍ عَلِمهُ ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ». قال الترمذي: «حديث حسن» (جامع الترمذي ٥ / ٢٩، ح رقم ٢٦٤٩).

وهكذا نشط الصحابة (رض) في التعلم والتعليم، حتى أزالوا أميتهم في وقت قصير وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس بشهادة رب العزة تبارك وتعالى، فقد وصفهم بقوله: ﴿كنتم خير أُمةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

وما كان ذلك ليحدث لولا حكمة النبي (ﷺ) وتميز شخصيته، ولذلك كان لابد لكل مسلم أن يتعرف على شخصية النبي (ﷺ) العلمية لتكون منارة يهتدي بها،

وقدوة يقتدي بها في مسيرته التعليمية، ووجب على المجتمع المسلم أن يبث ملامح هذه الشخصية في نفوس أبنائه حتى يشحذ الهمم التي تقاصرت، ويعيد لهذه الأمة مجدها وسؤددها وتستعيد مكانتها اللائقة بها بين الأمم.

تعريف الشخصية

الشخصية: كلمة حديثة الاستعمال فلا نكاد نجد لها وجوداً في معاجم اللغة العربية، وإذا وُجدت فهي تعني: صفات تميز الشخص من غيره، وكان استعمالها قائماً على معنى الشخص.

ومعنى الشخص في اللغة: سواد الإنسان...، وفي الحديث: «لا شخص أغيرُ من الله» (صحيح مسلم ٢ / ١١٣٦، كتاب اللعان، ح رقم ١٤٩٩)؛ وقال ابنُ الأثير: «الشخص: كلُّ جسم له ارتفاعٌ وظهور، والمراد به إثبات الذات، فاستُعير لها لفظُ الشخص»[١]. وقال الجرجاني: «الشخص سواد الإنسان القائم المرئي من بعيد»[٢].

وأما علماء النفس فوصفوا الشخصية بأنها: «مجموعة التفاعلات الداخلية التي تظهر على سلوك الإنسان الخارجي، وتنعكس على تصرفاته في مواجهة الأحداث التي تعتريه، وكذلك في مواجهة الأفراد المحيطين به؛ فيؤثر فيهم ويتأثر بهم. وكل فرد من أفراد المجتمع الإنساني يتميز عن غيره في تلك التفاعلات المنعكسة على سلوكه، وشخصية المرء هي التي تتضمن اتجاهاته، ودوافعه، وقيمه، ومبادئه، وما ينتمي إليه، وغير ذلك من سمات تظهر على سلوكه الخارجي؛ فتكسبه ثباتاً على نمط حياتي ثابت، فتتمايز حينئذٍ شخصية الأفراد في المجتمع الإنساني، ومن خلال ذلك يمكن تمييز أو تصنيف الشخصية أو تحديد معالمها[٣].

المبحث الأول: صفات شخصية النبي (ﷺ)

إن شخصية النبي (ﷺ) ذات جوانب متعددة، وكل جانب من هذه الجوانب كان له تأثير بالغ في إنشاء جيل من الصحابة قادر على أن يقود العالم بأسره في فترة لم تتجاوز

ثلاثة عقود. قد تقاصر أمام النبي (ﷺ) كل كبير، وتقزم أمامه كل عظيم، وأصبحت أمته بفضل قيادته سيدة الأمم، «ومن تأمل حسن رعايته للعرب مع قسوة طباعهم، وشدة خشونتهم، وتنافر أمزجتهم، وكيف ساسهم واحتمل جفاءهم، وصبر على أذاهم، الى أن انقادوا إليه، والتفُّوا حوله، وقاتلوا أمامه ودونه أعزّ الناس عندهم، وآثروه على أنفسهم، وهجروا في طاعته ورضاه أحباءهم وأوطانهم وعشيرتهم وإخوانهم»[٤].

المطلب الأول: وصف القرآن الكريم لشخصية النبي (ﷺ):

إنّ أعلم الناس بالخلق هو خالقهم؛ ولذلك فإن أصدق وصف لشخصية النبي (ﷺ) هو ما وصفه به ربه، وقد جاء وصف النبي (ﷺ) في القرآن شاملاً لجميع جوانب شخصيته، ولكني سأقتصر على الأوصاف التي تخص الجانب العلمي فيها.

أولاً: أهليته لقيادة العالم وتعليمه: فقد أخبرنا المولى ـ عز وجل ـ أن النبي (ﷺ) لم يبعث لأمة الإسلام فحسب، وإنما بعث للناس كافة، فقال جل في علاه: ﴿قُل يا أيُّها الناس إني رسولُ الله إليكم جميعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال أيضاً: ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناسِ لا يعلمون﴾ (سبأ: ٢٨).

ثانياً: رحمته ورأفته العامة: فلم تقتصر رحمته (ﷺ) بالمسلمين، بل تعدت ذلك الى جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين﴾ (الانبياء: ١٠٧)، وقال أيضاً: ﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة: ١٢٨).

ثالثاً: سمو أخلاقه: أثنى الله على رسوله (ﷺ) وأكد سمو أخلاقه، وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خُلقٍ عظيم﴾ (القلم: ٤).

رابعاً: أهليته للتعليم: وقد تأهل النبي (ﷺ) لأن يكون المعلم الأول للبشرية جمعاء بفضل تعليم الله إياه، فقال عز وجل: ﴿وأنزل الله عليك الكِتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيماً﴾ (النساء: ١١٣).

خامساً: صبره: التعليم يحتاج الى الصبر، قد أمر الله نبيه بالصبر في مواضع كثيرة،

والنبي (ﷺ) هو خير من يمتثل لأمر ربه، قال تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ (المعارج: ٥)، وقال عز وجل أيضاً: ﴿ولربِّك فاصبر﴾ (المدثر: ٧)، وقال جل جلاله أيضاً: ﴿فاصبر لحُكم ربك ولا تُطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ (الانسان: ٢٤).

سادساً: تواضعه: قال تعالى: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر: ٨٨). وسيأتي الكلام عن تواضعه (ﷺ) تفصيلاً في المطلب القادم.

ولم يقتصر القرآن في وصف النبي (ﷺ) على هذه الصفات، وإنما نعته بأحسن النعوت، وأكتفي بما ذكرت من أوصاف القرآن للنبي (ﷺ) طلباً للاختصار.

المطلب الثاني: وصف الصحابة لشخصية النبي (ﷺ):

إن وصف الصحابة (رض) لشخصية النبي (ﷺ) كثيرة لا تعد ولا تحصى؛ إذ نعتوه بكثير من الأوصاف. فقد روى البخاري بسنده عن أنس قال: «قال: كان النبيُّ (ﷺ) أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة؛ فكان النبيُّ (ﷺ) سبقهم على فرسٍ؛ وقال: وجدناه بحراً» (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، برقم ٢٨٢٠)، كما روى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: «إن رسول الله (ﷺ) لم يكن فاحِشاً ولا مُتفحشاً، وكان يقول: إن من خياركم ـ أو قال: إن من أحبكم إليّ ـ أحسنكم أخلاقاً» (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود، برقم ٣٧٦٠).

وروى الترمذي بسنده عن الحسن بن علي (رض) قال: «سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصافاً، قلت: صف لي منطق رسول الله (ﷺ)، قال: كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذمُّ ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تُعدّي الحقُّ لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب

قلبها، وإذا اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جُلُّ ضحكه التبسم، يفترُّ عن مثل حب الغمام»[٥].

كما روى الترمذي بسنده عن الحسين بن علي (رض)، قال: «سألت أبي عن سيرة رسول الله في جلسائه فقال: كان رسول الله دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤيس منه راجيه، ولا يُخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلبُ عورته، ولا يتكلم إلّا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم اطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يُتعجب منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثاً حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام»[٦].

المطلب الثالث: وصف النبي (ﷺ) في الكتب السابقة:

أخبر الله ـ عز وجل ـ عن صفة محمد (ﷺ) وأصحابه في التوراة والإنجيل؛ فقال عز من قائل: ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشداءُ على الكُفار رُحماء بينهم تراهم رُكعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقه يُعجب الزُّراع ليغيظ بهم الكُفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ (الفتح: ٢٩).

وروى البخاري بسنده عن عطاء بن يسار «قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قلت: أخبرني عن صفة رسول الله (ﷺ) في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً﴾ وحرزاً للأُميين أنت عبدي ورسولي سمَّيتُك المتوكل ليس بفظٍّ ولا

غليظٍ، ولا سخّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلّا الله، ويفتح بها أعيناً عُمياً وآذاناً صُماً وقلوباً غُلفاً» (صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية الصخب بالأسواق، برقم ٢١٢٥).

المبحث الثاني: شخصية النبي (ﷺ) العلمية

وهذا الجانب هو مدار هذا البحث، الذي يهدف الى إبراز بعض الجوانب المهمة في شخصية النبي (ﷺ) التعليمية، والتعريف ببعض الأساليب التي سلكها النبي (ﷺ) في التعليم؛ لتكون هادية لنا في مسيرتنا التعليمية. فقد «كان رسول الله (ﷺ) من الرأفة والرحمة، وترك العنت وحب اليسر، والرفق بالمتعلم، والحرص عليه، وبذل العلم والخير له في كل وقت ومناسبة: بالمكان الأسمى والخلق الأعلى»[٧]. وقد شهد له بذلك القاصي والداني، حتى أن غير المسلمين شهدوا له بالفضل في تغيير العرب من أمة جاهلية تعيش على هامش التاريخ الى أمة مؤهلة لقيادة العالم بأسره في زمن قصير، فها هو «كارليل» يصف العرب قبل بعثة النبي (ﷺ) وبعدها فيقول: «هم قوم يضربون في الصحراء، ولا يُؤبه لهم عدة قرون؛ فلما جاءهم النبي العربي، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرفان، وكثُروا بعد القلة، وعزُّوا بعد الذلة، ولم يمض قرنٌ حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم»[٨]، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وقد تميز النبي (ﷺ) بصفات كثيرة ساهمت في إثراء شخصيته العلمية، وامتلاكه لبعض مهارات الاتصال التي تفوقت على أحدث الوسائل التي توصل إليها العلم الحديث، وكانت هذه المهارات مرجعاً لكبار العلماء في التربية والتعليم واستفادوا منها في تقعيد معظم القواعد في التربية والتعليم، وسأذكر بعض هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: الإخلاص في القول والعمل:

الإخلاص له أثر بالغ في إنجاح عملية الاتصال؛ ولذلك بين الله ـ جل وعلا ـ أن الإخلاص سبب رئيس في قبول العبادات، وركن من أركانها، قال تعالى: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مُخلصين له الدين حُنفاء﴾ (البينة: ٥)، كما جعل الله الإخلاص سبباً في إجابة الدعاء، فقال تعالى: ﴿هو الحيُّ لا إله إلّا هو فادعوه مُخلصين له الدين الحمدُ لله رب العالمين﴾ (غافر: ٦٥)، وقد بين النبي (ﷺ) ارتباط الأعمال بالنيات بقوله: (إنما الأعمالُ بالنيات وإنما لكُلِّ امرئ ما نوى) (صحيح البخاري، ح رقم (١)).

ثانياً: حسن السيرة[٩] والسريرة[١٠]:

فقد كان النبي (ﷺ) يهتم بمظهره ويحافظ على هيئته مما يضفي عليه هيبة ووقاراً، ويجعل كلامه يقع موقعاً حسناً في نفوس الناس؛ فإن الناس يحبون جمال المظهر، وترتاح له نفوسهم، بل إنّ الله ـ عز وجل ـ أمر بالزينة عند دخول المساجد. فقال جل في علاه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الاعراف: من الآية ٣١).

وروى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود أن النبي (ﷺ) قال: «.. إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال...». (صحيح مسلم ١ / ٩٣، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح رقم ٩١)، كما روى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله «قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلاً شعثاً قد تفرّق شعرهُ، فقال: أما كان يجدُ هذا ما يُسكِّن به شعره؟! ورأى رجلاً آخر وعليه ثيابٌ وسِخةٌ، فقال: أما كان هذا يجدُ ماءً يغسلُ به ثوبه؟!» (سنن أبي داود ٢ / ٤٤٩، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب والخلقان، ح رقم ٤٠٦٢؛ ورجاله كلهم ثقات، وقد صححه الشيخ الألباني).

ورُوي أن النبي (ﷺ) قال: «إنكم قادمون على إخوانكم؛ فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم؛ فإن الله ـ عز وجل ـ لا يحبُّ الفحش ولا التفحُّش» (مسند أحمد، ٤ / ١٧٩، وقال الشيخ شعيب: محتمل للتحسين)، وفي رواية الطبراني زاد بعد قوله: «لباسكم»: «حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس» (المعجم الكبير، ٥ / ١٦٣). فكل هذه

الآثار تدل على اهتمام النبي (ﷺ) بالمظهر العام للمسلم.

أما فيما يخص سريرته (ﷺ): فقد شهد له ربه بكرم أخلاقه (ﷺ) وصفاء سريرته، فقال جل ذكره: ﴿وإنك لعلى خُلقٍ عظيم﴾ (القلم: ٤). ومن الجوانب التي تدل على حسن سريرته (ﷺ):

١. حسن الخلق: كان (ﷺ) أحسن الناس خلقاً، فقد روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك «قال: كانَ رسولُ الله (ﷺ) أحسنَ الناسِ خُلقاً» (صحيح مسلم، ١ / ٤٥٧، كتاب الفضائل، ح رقم ٢٣١٠)، وكان (ﷺ) يأمر بحسن الخلق فقد روى الترمذي بسنده عن أبي ذر (رض) قال: «قالَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقِ الله حيثُما كُنت، وأتبع السيئة الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناس بخلقٍ حسنٍ» (جامع الترمذي، ٤ /٣٥٥، كتاب البر والصلة، كتاب معاشرة الناس، برقم ١٩٨٧، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح).

٢. التواضع: كان رسول الله (ﷺ) من أشد الناس تواضعاً لأصحابه، ولم يكن يترفع عنهم أو يميز نفسه عنهم بشيء، بل كان يمتزج بهم، حتى لا يُعرف من بينهم؛ فقد روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك «قال: بينما نحنُ جلوسٌ مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المسجدِ، دخلَ رجلٌ على جملٍ؛ فأناخهُ في المسجد، ثم عقلهُ، ثم قالَ لهم: أيكم محمدٌ؟ والنبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ متكئٌ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ» (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم...، برقم ٦٣)، وروى أيضاً بسنده عن أنس بن مالك قال: «ان كانت الأمة من إماء أهل المدينةِ لتأخذُ بيدِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتنطلق به حيث شاءت» (رواه البخاري عن الترمذي)[١١].

وكان (ﷺ) يأمر أصحابه بالتواضع؛ فقد روى مسلم بسنده عن عياض بن حمار ـ أخي بني مجاشع ـ قال: قام فينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم خطيباً فقال: «.. وإن الله أوحى الي أن تواضعوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغ أحدٌ على أحدٍ» (صحيح مسلم، ٤ / ٢١٩٧، ح ٢٨٦٥).

وروى ابن حبان بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ﷺ) قال: «من تواضع لله درجة، يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين... (صحيح ابن حبان، ١٢ / ٤٩١، ح رقم ٥٦٧٨).

وكان النبي (ﷺ) يشارك أصحابه في العمل الجماعي، كي يشعرهم بأنه واحد منهم مما يجعله قريباً منهم، ويجعل لكلامه أثراً في نفوسهم، ففي غزوة الخندق كان يشاركهم الحفر؛ فقد روى البخاري بسنده صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال: «رأيتُ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الخندقِ وهو ينقلُ الترابَ حتى وارى الترابُ شعرَ صدرهِ، وكان رجلاً كثير الشعرِ» (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، برقم ٣٠٣٤).

٣. الزهد: لم يكن النبي (ﷺ) يهتم بالدنيا، ولا يركن اليها، وكان يحذر أصحابه من الركون الى الدنيا، وكان يقلل من شأن الدنيا؛ فقد روى الترمذي بسنده عن سهل بن سعد قال: «قال رسول الله (ﷺ): لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضةٍ، ما سقى كافراً منها شربةَ ماءٍ». قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه (جامع الترمذي، ٤/ ٥٦٠، كتاب الزهد، باب هوان الدنيا على الله، برقم ٢٣٢٠)، كما روى بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: نام رسول الله (ﷺ) على حصيرٍ فقامَ، وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله! لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا الا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ ثم راح وتركها». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (جامع الترمذي، ٤/ ٥٨٨، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، برقم ٢٣٧٧).

وروى الحاكم بسنده عن سهل بن سعد أن النبي (ﷺ) وعظ رجلاً فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل، وازهد فيما في أيدي الناس، يحبك الناس» (المستدرك، ٤/ ٣٤٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه)، قلت: كلام الحاكم فيه نظر[١٢].

٤. الحلم: فقد كان يضرب المثل بحلمه (ﷺ) وقد أثنى عليه ربه ـ جل وعلا ـ قوله: ﴿فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل

عمران: ١٥٩).

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال: «كنت أمشي مع النبي (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية؛ فادركه اعرابي، فجذبه جذبة شديدةً حتى نظرت الى صفحة عاتق النبي (ﷺ) قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته؛ ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاءٍ» (صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، برقم ٣١٤٩).

٥. التوسط: الوسطية هي من الصفات التي ذكرها الله في كتابه ووصف بها أمة النبي محمد (ﷺ)؛ فقال عزوجل: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ (البقرة: من الآية ١٤٣)، وكان رسول الله (ﷺ) يأمر أصحابه بالتوسط في كل شيء، في أمور الدين والدنيا، فأما في أمور الدين فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «ان الدين يسرٌ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلّا غلبهُ فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحةِ وشيءٍ من الدلجةِ» (صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب الدين يسر، برقم ٣٩)، كما روى بسنده عن أنس بن مالك قال: «جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ)؛ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فاني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله! أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني» (صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم ٥٠٦٣).

وأما في أمور الدنيا، فقد أمر أصحابه بالاعتدال، وأن يطلبوا من الدنيا قدر الكفاية؛ فقد روي أنه كان يقول لأصحابه: «خيركم من لم يترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه»، وهذا صحيح؛ لأن الانقطاع الى أحدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال؛ وقال (ﷺ): «نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة»[١٣].

ثالثاً: توافق القول مع العمل: القول اذا لم يقترن بالعمل لا يؤثر في نفوس المخاطبين، وقد عاب الله ـ جل جلاله ـ على الذين يقولون ما لا يفعلون فقال تبارك وتعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا لم تقولونَ ما لا تفعلونَ * كبرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلونَ﴾ (الصف: ٢ـ ٣)، والنبي (ﷺ) هو أحق من يتبع كلام الله، بل انه أمر بقتال من يقولون ما لا يفعلون بشتى الوسائل، فقد روى مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال: «ما من نبيٍّ بعثهُ الله في أُمةٍ قبلي إلّا كان له من أُمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدونَ بأمرهِ ثم انها تُخلف من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ وليس وراء ذلك من الايمان حبةُ خردلٍ» (صحيح مسلم، ١ / ٥٩، كتاب الايمان، برقم ٥٠).

وها هو الصحابي الشهير عمرو بن العاص يصف النبي (ﷺ) للجلندي ملك عمان بقوله: «لقد دلني على هذا النبي الأمي انه لا يأمر بخير إلّا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلّا كان أول تارك له»[١٤].

وهذه الصفات والميزات غيض من فيض، وسطر من قمطر، فصفاته (ﷺ) أكبر من أن يحيط بها مثل هذا البحث المتواضع، وانما أردت أن أشير الى بعض الصفات التي تميز بها (ﷺ)، وكان لها تأثير واضح في بروز شخصية النبي (ﷺ) العلمية.

المبحث الثالث: طرق التعليم والأساليب النبوية في الخطاب

استخدم النبي (ﷺ) أفضل أساليب التعليم وأحسنها، وكان (ﷺ) ينوع من أساليبه في التعليم بقصد البعد عن الرتابة والملل، وكان يختار من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها الى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، وأكثرها مساعدة على ايضاحه له، وكان يلون الحديث لأصحابه بألوان كثيرة؛ فتارة فيكون سائلاً، وتارةً يكون مجيباً، وفي بعض الأحيان يجيب السائل بقدر سؤاله، وفي بعضها الآخر يزيده على ما سأل، وأحياناً يضرب المثل لما يريد تعليمه،

وأحياناً أخرى يُصحب كلامه القسم بالله تعالى، ومرة يعلّم بطريق الكتابة، أو بطريق الرسم، وقد يستخدم التشبيه أو التصريح، وقد يستخدم الابهام أو التلويح، وكان (ﷺ) يورد الشبهة ليذكر جوابها، أو يسلك سبيل المداعبة والمحاجاة في ما يعلمه، أو يمهد لما يشاء تعليمه وبيانه تمهيداً لطيفاً، أو يسلك سبيل المقايسة بين الأشياء، أو يشير الى عللها لذكر جوابها، أو يسأل أصحابه وهو يعلم ليمتحنهم بذلك، وتارةً يسألهم ليرشدهم الى موضع الجواب، وتارةً يلقي اليهم العلم قبل السؤال، وتارةً يخص النساء ببعض مجالسه، ويعلمهن ما يحتجن اليه من العلم، وتارةً يراعي حال من بحضرته من الأطفال والصغار، فيتنزل اليهم ويعلمهم بما يلاقي طفولتهم ولهوهم البريء، الى غير ذلك من الفنون التعليمية[١٥].

المطلب الأول: ميزات الأسلوب النبوي في القاء الخطاب

الحديث النبوي يمتاز بحد ذاته بقوة البيان الذي يأخذ بمجامع القلوب، حتى أن الله ـ عز وجل ـ سمى الحديث: «حكمة»؛ فقال جل في علاه: ﴿أنزل الله عليك الكتاب والحكمةَ وعلمك ما لم تكن تعلم وكانَ فضلُ الله عليك عظيماً﴾ (النساء: ١١٣)، والنبي (ﷺ) أوتي جوامع الكلم، وهذا ما أخبر به بقوله (ﷺ): «بعثتُ بجوامعِ الكلمِ» (صحيح البخاري، ٧٠١٣)، وقد امتاز الأسلوب النبوي بميزات عديدة جعلته يقع موقعا حسناً في نفوس الصحابة (رض)، ويؤثر فيهم تأثيراً بالغاً، ويسهل عليهم حفظه وتطبيقه، ومن أهم ميزات الأسلوب النبوي:

أولاً: الايجاز: كان كلام النبي (ﷺ) قصداً، فلم يكن يطيل الكلام، بل كان يكتفي بالألفاظ القليلة التي تؤدي معان كثيرة، وتصف السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ حديث النبي (ﷺ) بقولها: «انما كان النبي (ﷺ) يحدثُ حديثاً لو عده العادُ لأحصاه» (صحيح البخاري، ح ٣٥٦٨؛ ومسلم ٢٤٩٣).

ثانياً: اظهار المحبة للمخاطبين: المحبة رسول القلوب، وفي اظهارها تقوية لأواصر المحبة بين المتخاطبين، بحيث تطمئن النفوس وتزيد من ثقة المخاطب بالمتكلم، فيقع

كلام المتكلم موقعاً حسناً في قلب المخاطب، فيتلقاه بنفس راضية، ويبعث الشوق في نفسه.

وقد حرص النبي (ﷺ) على هذا الجانب، فقد أخذ (ﷺ) بيد معاذ بن جبل وقال له: «يا معاذُ والله! اني لأحبك، والله! اني لأحبكَ. فقال أوصيك يا معاذ! لا تدعنَّ في دبرِ كلا صلاةً تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (أرويه بسندي المتصل الى النبي (ﷺ) وقد رواه أبوداود ١٥٢٢ بسند صحيح، وجميع رواته ثقات). وروى الحاكم بسنده عن أبي اسحاق أن رسول الله (ﷺ) قال لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد! اني أحبك حبين: حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي اياك» (المستدرك، ٣ / ٦٦٧، ح ٦٤٦٤، وفي الحديث الذي بعده ٦٤٦٥، رواه من طريق حذيفة بن اليمان بنحوه). وروى بسنده عن أنس أن رسول الله (ﷺ) استقبل غلماناً من غلمان الأنصار، وإماءً وعبيداً فقال: «والله اني لأحبكم». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك، ٤/ ٩٠، ح ٦٩٧٦).

ثالثاً: التأني وعدم سرد الحديث متتابعاً: كان (ﷺ) يتأنى في القاء الكلام الى أصحابه ليتمكنوا من فهمه وحفظه، حيث كان جل اعتمادهم في الحديث على الحفظ، وهذا ما أشارت اليه السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ بقولها: «ان رسول الله (ﷺ) لم يكن يسردُ الحديثَ كسردكُم» (صحيح البخاري، ح ٣٥٦٨؛ ومسلم، ٤ / ١٩٤٠، ح ٣٣٧٥)، وفي رواية أخرى قالت: «ما كان رسول الله (ﷺ) يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس اليه» (الشمائل المحمدية، للترمذي، ١/ ١٨٣، ح ٢٢٤).

رابعاً: التكرار: فكان (ﷺ) يكرر بعض الكلمات المبهمة أو الصعبة ليبين أهمية الكلام من جهة، ولتعيه صدورهم من جهة أخرى، ويسهل عليهم حفظه، فقد عقد البخاري باباً في كتاب العلم بعنوان: «من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه» ومما جاء في هذا الباب ما رواه بسنده عن أنس أن النبي (ﷺ): «كانَ اذا تكلمَ بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنهُ» (صحيح البخاري، ح رقم ٩٥).

خامساً: استخدام ألفاظ العموم تجنباً لاحراج المخاطبين: ان عدم تخصيص المذنب بالكلام يجنبه الحرج، ويجعله يقبل الموعظة بنفس راضية، ويقذف حب المتكلم في قلب المخاطب؛ لأنه ستر عليه ولم يفضحه، ويسارع الى الانتهاء عن المخالفة من باب رد الجميل، وحتى تبقى صورته حسنة في نفوس الناس، ولذلك كان رسول الله (ﷺ) يستخدم ألفاظ العموم في عتاب أصحابه، فقد روى أبوداود بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النبي (ﷺ) اذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟» وروى البخاري بسنده عنها ـ أيضاً ـ قالت: «أتتها بَرِيرةُ تسألها في كتابتها، فقالت: ان شئتِ أعطيتُ أهلك، ويكون الولاءُ لي، فلما جاء رسول الله (ﷺ)، ذكرته ذلك، فقال النبي (ﷺ): ابتاعيها فأعتقيها؛ فان الولاء لمن أعتق»، ثم قامَ رسول الله (ﷺ) على المنبر فقال: «ما بالُ أقوامٍ يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله؟ من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وان اشترط مائة شرط» (صحيح البخاري، ح ٤٥٦). وفي رواية أخرى لها قالت: «صنع النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئاً، فرخّص فيه فتنزّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخطب، فحمد الله ثم قال: ما بالُ أقوامٍ يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله! انـي لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشيةً» (صحيح البخاري، ح ٦١٠١).

سادساً: مراعاة الفروق الفردية: ان من فقه الامام أن يراعي الفروق الفردية بين السائلين في فتواه، والنبي (ﷺ) هو المعلم الأول، وهو الذي قرر هذه القاعدة، وتعلمها منه أصحابه (رض)، فقد روى الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: كُنا عنده (ﷺ) فجاء شابٌّ فقالَ: يا رسول الله! أُقبِّلُ وأنا صائمٌ؟ قال: لا. فجاء شيخٌ فقال: أُقبلُ وأنا صائمٌ؟ قال: نعم. قال: فنظر بعضنا الى بعضٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد علمتُ لم نظر بعضكم الى بعضٍ؟ ان الشيخ يملك نفسهُ» (مسند أحمد، ٢ / ١٨٥)؛ وهذا الحديث ضعفه الألباني.

قلت: هو حسن لغيره لأن له شاهداً من حديث أبي هريرة، فقد روى أبوداود باسناد حسن عن أبي هريرة «أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) عن المباشرة للصائم فرخص له،

وأتاه آخر فسأله فنهاه، فاذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب». قال الشيخ الألباني: «حسن صحيح» (سنن أبي داود، ح ٢٣٨٧).

ومن ذلك أن النبي (ﷺ) كان يقبل الاجابة عن بعض الأسئلة من قوم دون قوم؛ فقد روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: «نهينا أن نسأل رسول الله (ﷺ) عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟... الحديث، قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله ، قال فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: صدق؛... قال: ثم ولى. قال: والذي بعثك بالحق لا أريد عليهن، ولا أنقص منهن. فقال النبي (ﷺ): لئن صدق ليدخلن الجنة» (صحيح مسلم، ح ١٢).

المطلب الثاني: طرق التعليم النبوية

سلك النبي (ﷺ) طرقاً متعددة في التعليم، وذلك باختلاف الحال والمقام، وهذا التنوع جعل الصحابة (رض) يحفظون الحديث ويفهمونه؛ لأن النبي (ﷺ) كان يراعي أحوال المتعلمين، فيخاطبهم بما يناسبهم، فكانوا بحق هداة البشرية ومعلميهم من بعده؛ ومن هذه الطرق:

أولاً: التعليم بالقدوة:

لقد أثبتت معظم الدراسات التربوية أن التعليم بالقدوة من أفضل أساليب التعليم وأشدها تأثيراً في نفوس المخاطبين؛ فكل انسان صغيراً كان أم كبيراً لا بد له من قدوة حسنة يتشرب منها المبادئ الثابتة، ويتلمس خطاها في سيره ويسير على نهجها ويقتفي أثرها، وقد أرشدنا الله ـ جل في علاه ـ الى أعظم قدوة يمكن أن نقتدي بها في حياتنا؛ فقال جل ذكره وتقدست أسماؤه: ﴿لقد كانَ لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو

الله واليومَ الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

كما أشار الباري ـ عز وجل ـ الى أن اتباع النبي (ﷺ) هو السبيل الى التعبير عن محبة الله ـ جل في علاه ـ فقال تعالى على لسان نبيه (ﷺ): ﴿قُل ان كُنتم تحبون الله فاتبعُوني يُحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيمٌ﴾ (آل عمران، ٣١)، ودلت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة اتباع النبي (ﷺ) في كل شيء، فقد روى البخاري بسنده عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبي (ﷺ) ونحن شببة متقاربون. فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا. فأخبرناه وكان رقيقاً رحيماً. فقال: «ارجعوا الى أهليكم. فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي، واذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم» (صحيح البخاري، كتاب الأدب، ح رقم ٦٠٠٨).

وروى مسلم عن سهل بن سعد في صفة منبر رسول الله (ﷺ) قال: «.. ولقد رأيت رسول الله (ﷺ) قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه ـ وهو على المنبر ـ ثم رفع فنزل القهقري حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس اني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي» (صحيح مسلم، ٣٨٦/١، كتاب المساجد، ح رقم ٥٤٤).

وروى الامام أحمد بسنده عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ـ رضي الله عنهما ـ قصة صلح الحديبية في حديث طويل. فلما تم الصلح بين النبي (ﷺ) ومشركي قريش قام رسول الله (ﷺ) فقال: «يا أيها الناس! انحروا واحلقوا». قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله (ﷺ) فدخل على أم سلمة فقال: «يا أم سلمة! ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم انساناً، واعمد الى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله (ﷺ) لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق. فقام الناس ينحرون ويحلقون» (مسند أحمد، ٤ / ٣٢٣)، فالصحابة (رض) اقتدوا بالنبي (ﷺ) في فعله، وكان هذا أبلغ من الأمر القولي.

وهكذا كان الصحابة (رض) يقتدون بالنبي (ﷺ) في كل أعمالهم، فها هو عمر بن الخطاب يأتي الحجر الأسود فيقول: «اني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت النبي (ﷺ) يقبّلك ما قبّلتك» (صحيح البخاري، كتاب الحج، ح رقم ١٥٩٧). والأمثلة على ذلك كثيرة لا حصر لها.

ثانياً: التعليم بالموعظة:

الموعظة: «النصح والتذكير بالعواقب»[١٦]. قال تعالى: ﴿ادعُ الى سبيل ربكَ بالحكمة والموعظةِ الحسنةِ﴾ (النحل: من الآية ١٢٥)، وقال أيضاً: ﴿أولئك الذين يعلمُ الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقُل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ (النساء: ٦٣)، وقد كان النبي (ﷺ) يتخير الوقت المناسب للموعظة، ويراعي أوقات النشاط عندهم خشية الملل؛ فقد روى البخاري بسنده عن ابن مسعود قال: كان النبي (ﷺ) يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا» (صحيح البخاري، ح رقم ٦٨)، «وكان عبدالله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أخولكم بالموعظة كما كان النبي (ﷺ) يتخولنا بها مخافة السآمة علينا» (صحيح البخاري، ح رقم ٧٠)، وكان (ﷺ) يخصص يوماً للنساء يعظهنّ فيه، فعن أبي سعيد الخدري أن النساء قلن للنبي (ﷺ): اجعل لنا يوماً، فوعظهن وقال: «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار. قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان» (صحيح البخاري، ح رقم ١٢٥٠).

ثالثاً: الترغيب والترهيب:

الترغيب والترهيب من طرق التعليم التي استخدمها النبي (ﷺ) في تعليم أصحابه حتى يبقى المسلم يعيش بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿وادعوهُ خوفاً وطمعاً إنّ رحمت الله قريبٌ من المحسنين﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿إنّ ربك لسريعُ العقابِ

وإنه لغفورٌ رحيم﴾ (الأعراف: من الآية ١٦٧)، ويقول الرسول المعلم (ﷺ): «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» (صحيح مسلم، ٤ / ٢١٠٩، ح ٢٧٥٥).

رابعاً: ضرب الأمثال لتقريب الصورة

وهذه الطريقة كان رسول الله (ﷺ) يلجأ إليها عندما تكون المعاني مبهمة أو غير واضحة من أجل تقريب المعنى الى ذهن المتعلم وتبسيط الصورة، أو إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وهذا الأسلوب استعمله القرآن في أكثر من موضع، فقال تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء﴾ (ابراهيم: ٢٤)، وقال أيضاً: ﴿مثلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملُوها كمثل الحمار يحملُ أسفاراً﴾ (الجمعة: من الآية ٥).

أما في السنة فالأمثلة كثيرة. من ذلك ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟». فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة». (صحيح البخاري، ح ٦١). وروى أيضاً بسنده عن أبي هريرة: «مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار» (صحيح البخاري، ح ٣٤٢٧)، كما روى بسنده عن النعمان بن بشير أن النبي (ﷺ) قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (صحيح البخاري، ٢٤٩٣).

وروى مسلم بسنده عن أبي موسى الأشعري عن النبي (ﷺ) قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن

يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة» (صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٢٦، ح ٢٦٢٨).

خامساً: استخدام القصة في التعليم: وتهدف القصة الى شد المستمع واسترعاء انتباهه بهدف التأثر بشخصيات القصة، ومحاولة الإقناع عن طريق الإيحاء الفكري، وبيان أهمية العمل الصالح، وقد اتسمت القصة النبوية بوضوح الأسلوب وبساطته، وجاذبيتها التي تأخذ بمجامع القلوب، ومن أمثلة القصة النبوية ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت الى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم! كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فناء بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً. فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي (ﷺ): وقال الآخر: اللهم! كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأدرتها عن نفسها. فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين. فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلّا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم! إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي (ﷺ): وقال الثالث: اللهم! إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال. فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله! أد إلي أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم! فإن كنت فعلت ذلك

ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» (صحيح البخاري، ح ٢٢٧٢).

كما روى بسنده عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «وقال: كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما. فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا الى داود، فقضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه. فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل ـ يرحمك الله ـ هو ابنها، فقضى به للصغرى» (صحيح البخاري، ح ٣٤٢٧).

سادساً: استخدام الحوار كوسيلة من وسائل الإقناع: والحوار وسيلة من وسائل الإقناع وإيصال المقصود في الحالات التي يصعب على المستمع استيعاب الصورة مجردة في بعض الأمور المشكلة، فالحوار يثير انتباه السامعين، ويشوقهم لسماع الجواب مما يجعل ذلك أوقع في نفوسهم، ومن أشهر الأحاديث في الحوار حديث جبريل الذي رواه مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب «قال: بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي (ﷺ). فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله (ﷺ): الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله (ﷺ) وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» (صحيح مسلم، ١ / ٣٦، كتاب الإيمان، ح رقم ٨).

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) «فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال (ﷺ): هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أزرق؟ قال: نعم. قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال (ﷺ): فلعل ابنك هذا نزعه» (صحيح البخاري، ح ٥٣٠٥).

وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي أمامة أن فتى شاباً أتى النبي (ﷺ) «فقال: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه. فقال: أدن. فدنا منه قريباً قال: فجلس. قال (ﷺ): أتحبه لأمك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله! يا رسول الله! جعلني الله فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله! جعلني الله فداءك! قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم! اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» (مسند أحمد، ٥ / ٢٥٦).

سابعاً: تقريب لغة الخطاب وتبسيطها للمخاطبين: وهذا يكون على ضربين:

١. مخاطبة الناس باللهجة التي يفهمونها؛ لأن المخاطب إذا لم يفهم كلام المتكلم فكأنه لم يسمعه أصلاً، فالهدف من الخطاب بالدرجة الأولى: أن يفهم المخاطب المقصود من الخطاب، إذ ان بعض القبائل أو بعض المناطق لها لهجة خاصة بهم يفهمون الخطاب بواسطتها أكثر من غيرها، فكان النبي (ﷺ) يراعي هذه المسألة، فقد جاء في بعض طرق حديث: «ليس من البر الصوم في السفر» (صحيح البخاري، ح ١٩٤٦)، قال الحافظ ابن حجر: «رواه أحمد من حديث كعب بن عاصم الأشعري بلفظ: ليس من ام بر ام صيام في ام سفر، وهذه لغة لبعض أهل اليمن يجعلون لام التعريف: ميماً ويحتمل أن يكون النبي (ﷺ) خاطب بها هذا الأشعري كذلك؛ لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بها على ما ألف من لغته فحملها عنه الراوي عنه وأداها باللفظ الذي سمعها به

وهذا الثاني أوجه عندي والله أعلم»[١٧].

وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال: «علمني رسول الله (ﷺ) فكان فيما علمني: وحافظ على الصلوات الخمس. قال: قلت: إن هذه ساعات لي فيها أشغال، فمرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني. فقال: حافظ على العصرين، وما كانت من لغتنا، فقلت: وما العصران؟ فقال: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها» (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ح ٤٢٨).

٢. التنزل بالخطاب لمستوى المخاطبين؛ لأن الخطاب إذا كان فوق مستوى المخاطب فلا يؤتي ثماره، ولذلك لابد للمتكلم أن يراعي أحوال المخاطبين وقدراتهم على الفهم والاستيعاب، ومخاطبتهم بما تتحمله عقولهم، وتعيه قلوبهم، وقد عقد البخاري في كتاب العلم باباً بعنوان: «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا» وذكر فيه حديث علي بن أبي طالب: «حدثوا الناس بما يعرفون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» (صحيح البخاري، ح ١٢٧)[١٨].

هذا الأثر رواه البخاري مسنداً لا معلقاً، لكنه في بعض الروايات علقه أولاً، ثم ذكر إسناده، وفي بعضها ساق إسناده أولاً، فرواه عن عبيد الله بن موسى عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي به.

ثامناً: طرح الأسئلة:

من الطبيعي أن يسأل الطالب سؤال المستفهم، ولكن النبي (ﷺ) كان يطرح الأسئلة أحياناً بقصد إثارة انتباه السامعين وتشويقهم لمعرفة الجواب، وأحياناً ليحرك ذكاءهم ويثير فطنتهم، ويختبر ما عندهم من علم، ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قال النبي (ﷺ) بمنى: أتدرون أي يوم هذا، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن هذا يوم حرام، أفتدرون أي بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بلد حرام، أتدرون أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهر حرام، قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم

هذا» (صحيح البخاري، ح ٦٠٤٣).

وروى مسلم بسنده عن أبي ذر أن النبي (ﷺ) قال يوماً: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت. فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها ذاك ـ تحت العرش ـ فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت. فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي الى مستقرها ذاك ـ تحت العرش ـ فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها. فقال رسول الله (ﷺ): أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين: ﴿لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ (الأنعام: ١٥٨)»، (والحديث رواه مسلم في الصحيح، ح ١٥٩).

وروى أيضاً بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» (صحيح مسلم، ح ٢٥٨٩).

والأمثلة كثيرة فقد روي أنه قال: «أتدرون ما المفلس؟...» (صحيح مسلم، ح ٢٥٨١)؛ وقال: «أتدرون أي الصدقة أفضل؟...» (مسند أحمد، ١ / ٤٦٣)؛ وقال: «أتدرون ما العتيرة؟...» (سنن أبي داود، ح ٢٧٨٨)؛ وقال: «أتدرون ما أخبارها؟...» (جامع الترمذي، ٣٣٥٣)؛ وغير ذلك من الأمثلة والأسئلة.

المطلب الثالث: الوسائل المساعدة في الخطاب النبوي

كان النبي (ﷺ) يستخدم بعض الوسائل التوضيحية من أجل تقريب المقصود الى أذهان المخاطبين، ومن هذه الوسائل:

أولاً: الإشارة:

١. الإشارة ببعض الأصابع: روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: «قال (ﷺ): بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين، وقرن بين السبابة والوسطى» (صحيح البخاري، ح ٥٣٠١).

وروى أبو داود بسند صحيح عن سهل بن سعد أن النبي (ﷺ) «قال: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وقرن بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام» (سنن أبي داود، ح رقم ٥١٥٠).

٢. التشبيك بين الأصابع: روى البخاري بسنده عن أبي موسى أن النبي (ﷺ) «قال: إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه» (صحيح البخاري، ح ٤٨١)، وروى أبو داود بسند صحيح عن جبير بن مطعم قال:...، «فقال رسول الله (ﷺ): انا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبك بين أصابعه (ﷺ)» (سنن أبي داود، ح ٢٩٨٠).

٣. الإشارة باليد: روى البخاري بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قال النبي (ﷺ): أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة ـ وأشار بيده على أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولانكفت الثياب والشعر» (صحيح البخاري، ح ٨١٢)، وروى أيضاً بسنده عن عبد الله قال: ذُكر الدجال عند النبي (ﷺ) «فقال: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ـ وأشار بيده الى عينه ـ وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية» (صحيح البخاري، ح ٧٤٠٧)، وروى مسلم بسنده عن ابن أبي أوفى أن رسول الله (ﷺ) قال: «... إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ فقد أفطر الصائم» (صحيح مسلم، ح ١١٠١).

٤. تحريك الرأس والعض على الشفتين: روى البخاري في الأدب المفرد بسنده عن أبي ذر: «أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوضوء، فحرك رأسه وعض على شفتيه. قلت: بأبي أنت وأمي! آذيتك؟ قال: لا، ولكنك تدرك أمراء أو أئمة يؤخرون الصلاة لوقتها. قلت: فما تأمرني؟ قال: صل الصلاة لوقتها، فإن أدركت معهم فصله ولا تقولن: صليت فلا

أصلي» (الأدب المفرد، ١ / ٣٣٠).

ثانياً: استخدام الخطوط التوضيحية:

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «خط النبي (ﷺ) خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً الى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ـ أو قد أحاط به ـ وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (صحيح البخاري، ح ٦٤١٦)، وروى ابن ماجه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله «قال: كنا عند النبي (ﷺ) فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوهُ ولا تتبعوا السبُل فتفرّق بكم عن سبيله﴾» (الأنعام: من الآية ١٥٣؛ والحديث رواه ابن ماجه في سننه، ح رقم ١١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من اتبع هداهم وسار على نهجهم الى يوم الدين أما بعد:

ففي هذا الوقت الذي يشهد هجمة شرسة على الإسلام والمسلمين، فينعتونه بالرجعية تارة، وبالتخلف تارة أخرى، وينظرون الى الإسلام على أنه دين التطرف والإرهاب، حتى بلغ بهم الأمر أن يتطاولوا على شخصية النبي الأعظم (ﷺ)، فإن الرد الطبيعي على هذه الاتهامات هو بإظهار صورة الإسلام السمحة، وتسليط الضوء على شخصية النبي (ﷺ) من جميع جوانبها؛ العلمية والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية... وغيرها.

وقد اخترت الكتابة في أحد هذه الجوانب، وهو شخصية النبي (ﷺ) العلمية، وحاولت إبراز هذا الجانب من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة؛ لأن

هذا الجانب هو أهم الجوانب إذ ينبني عليه باقي الجوانب الأخرى.

وقد بينت أن شخصية النبي (ﷺ) منارة يهتدي بها كل من يبحث عن الهدى؛ إذ أبهرت هذه الشخصية عقول العلماء والباحثين بالنتائج التي حققتها، فلم يجد المنصفون من علماء التربية والتعليم بدّا من أن يستعينوا بالقواعد والأسس التي استخدمها النبي (ﷺ) في مسيرته التعليمية بعد أن عجزت النظريات التربوية الحديثة عن مجاراة هذه القواعد، واعترفوا بأن النبي الأمي (ﷺ) كان أعظم شخصية تربوية عرفها التاريخ، واعترفوا له بالفضل والعلم، ولم يتوان المنصفون من علماء الغرب أن يقفوا إجلالاً لسيرة النبي (ﷺ) ويعلنوا إسلامهم، لكن الذين أعمى الله بصيرتهم منعهم عنادهم من أن يعترفوا بنبوته فوصفوه بالمربي والعبقري وغير ذلك ولم يعترفوا بنبوته، بل تعدى الأمر الى أن ينعته بعض الحاقدين بصفات يخجل اللسان عن ذكرها، وهذا يدل على حقدهم الدفين، وكيدهم العظيم لهذا الدين؛ فأرادوا النيل من أكبر الرموز فيه، ولكن المخلصين من أبناء هذه الأمة وقفوا لهم بالمرصاد وردوا كيدهم الى نحورهم.

وقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: صفات شخصية النبي (ﷺ) وفيه مطالب

المبحث الثاني: شخصية النبي (ﷺ) العلمية

المبحث الثالث: طرق التعليم والأساليب النبوية في الخطاب

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. أن النبي (ﷺ) هو المعلم الأول للبشرية جمعاء، وقد ثبت هذا بالنصوص القرآنية.

٢. أن سيرة النبي (ﷺ) هي الركيزة الأساسية في العملية التربوية والتعليمية، وفي شخصيته الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، والصورة الحية الخالدة على مدى التاريخ.

٣. أن الجانب العلمي من شخصية النبي (ﷺ) هو من أهم الجوانب في شخصيته، وفيها توجيه للمعلم والمتعلم على حد سواء.

٤. أن أقوال النبي (ﷺ) فيها أكثر من وجه تعليمي، وتحتوي على أكثر من أسلوب

إرشادي أو تربوي، ولذلك نجد أن الحديث الواحد يصلح للاستشهاد في كثير من الأمور.

٥. أن الأساليب التربوية والتعليمية التي استخدمها النبي (ﷺ) كانت الركيزة الأساسية في إنجاح العملية التعليمية وحققت الأهداف المنشودة بدقة وموضوعية.

التوصيات

١. أوصي بأن تهتم الجامعات الإسلامية بإبراز شخصية النبي (ﷺ) العلمية، ويجب أن تكون هذه الشخصية هادياً لهم ومرشداً في مسيرتهم التعليمية.

٢. التركيز على أسلوب التعليم بالقدوة، لأنه من أفضل أساليب التعليم وأشدها تأثيراً وأقربها الى النجاح، وأن الإسلام يقيم منهجه على هذه الطريقة.

٣. التركيز على ربط التعامل مع جميع أجزاء الوجود (الخالق والمخلوقات) بالوحي بقسميه (المتلو وغير المتلو)، وأن يكون التعامل مع الوجود ضمن هذا الإطار.

٤. الدعوة الى عقد المزيد من المؤتمرات العلمية في الدول الإسلامية من أجل إبراز شخصية النبي الأعظم واستعراض صفاته، ليكون في ذلك رداً عملياً على الذين يحاولون النيل من النبي (ﷺ).

٥. الدعوة الى مقاطعة الدول التي تسمح لرعاياها بالنيل من شخصية النبي (ﷺ) على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

٦. وختاماً أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأشكر راعي المؤتمر ومديره واللجنة التحضيرية وجميع الذين شاركوا في إنجاحه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

١ ـ ينظر: تاج العروس، باب الشين فصل الصاد، مادة: «شخص».

٢ ـ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعاريف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥، ١ / ٤٢٥.

٣ ـ ينظر: http:// annabaa. org/ nba ٥٤ /shakhsia. htm

٤ ـ أبو غدة، عبد الفتاح، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٩٦ م، هامش الصفحة ١٠ ـ ١١.

٥ ـ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢، ١ / ١٨٤.

٦ ـ المصدر السابق، ١ / ٢٩٠ ـ ٢٩١.

٧ ـ الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، هامش الصفحة ١١.

٨ ـ المصدر السابق نفسه.

٩ ـ السيرةُ: الهيئةُ، وبه فُسر قوله تعالى: ﴿سنُعيدها سيرتها الأُولى﴾؛ انظر: تاج العروس، ١ / ٢٩٨١.

١٠ ـ السريرة: عمل السرِّ من خيرٍ أو شرٍّ؛ تاج العروس، ١ / ٢٩٣٨.

١١ ـ قال: وقال محمد بن عيسى حدثنا هشيم أخبرنا حميد الطويل حدثنا أنس بن مالك ... الحديث؛ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، برقم ٦٠٧٢، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، برقم ٤١٧٧.

١٢ ـ قلت: في اسناده: خالد بن عمرو بن محمد القرشي، وهو: ضعيف (قال أحمد بن سيار عن أحمد بن حنبل: منكر الحديث، وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: ليس بثقة يروي أحاديث بواطيل، وقال عباس عن يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وقال الحسين بن حبان عن يحيى: كان كذاباً يكذب حدث عن شعبة أحاديث موضوعة، وقال البخاري والساجي وأبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبوحاتم: متروك الحديث ضعيف، وقال أبوداود: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال صالح بن محمد البغدادي: كان يضع الحديث، وقال ابن حبان: كان يتفرد عن الثقات بالموضوعات لا يحل الاحتجاج بخبره؛ تهذيب التهذيب، ٣/٩٤).

١٣ ـ الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد، أعلام النبوة، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧ م.، ١ / ٢٦٨ بتصرف يسير؛ وقد ذكر الماوردي الأحاديث من غير اسناد. وقد ذكر العجلوني قريباً من معنى هذه الأحاديث فذكر حديث: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه»، ثم قال بعده رواه ابن عساكر والديلمي عن أنس بلفظ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً، فان الدنيا بلاغ الى الآخرة، ولا تكونوا كلاً على الناس»، وأخرجه أبونعيم والخطيب في تاريخه والديلمي من وجه آخر، كشف الخفاء، ٢

/ ١١٣٥.

١٤ ـ ابن حجر، أحمد بن علي، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤٢١ هـ، ١ / ٥٣٨.

١٥ ـ الرسول المعلم، مرجع سابق، ص ٦٣ ـ ٦٤ بتصرف.

١٦ ـ الوَعظ والعظةُ والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده: هو تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب، وفي التنزيل: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾... والموعظة في معنى الوعظ حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه؛ وقد وعظه وعظاً وعظة واتعظ هو قبل الموعظة؛ لسان العرب، ٧ / ٤٦٦.

١٧ ـ ابن حجر، أحمد بن علي، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق عبد الله اليماني، المدينة المنورة، ١٩٦٤ م.، ٢ / ٢٠٥.

١٨ ـ رواه البخاري تعليقاً عن علي (رض)، ثم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي (رض) بذلك، وقد ضعفه الألباني في (الجامع الصغير وزياداته، ١ / ٦٤٥)؛ وكلام الشيخ الألباني فيه نظر لأن الحديث متصل فقد أورد البخاري إسناده متصلاً، وحتى لو كان معلقاً فقد علقه بصيغة الجزم الى علي (رض) ثم رواه متصلاً.